الدبلوماسي وكيف يجب ان يكون

بقلم : الاستاذ فاضل رشيد

عجلة البحث الحر تدور ، واثرها يسير مع الزمن مادام هناك مفكرون يعملون لخير الانسانية ولصالحها العام . على ان هذه العجلة الدوارة قد لاتلفت النظر اليها الا عند وقوع طارىء او مايدعو الى تداعي المعاني او انتثالها حول الدورة الحرة من البحث والنقد والتفكير ... الدورة التي ما فتئت تلاقي اعجاب المناصرين لها من كل جنس ولون في كل مكان وزمان . فمدرسة ارسطو وفلسفة نيقوماخوس ومذهب ارسيت ومن محا نحوهم كلها عوامل وجهت اساطين فلاسفة العالم ومربيه الى هذه الدورة الحرة من النقد الصريح والبحث المكشوف مما كان سبباً الى مناقشات عميقة مرت عليها الايام ولم تزل بكراً يتناوحها العلم بالبحث والتحليل . ومن هذه البحوث التي نحن الآن بصددها والتي اختلفت فيها وجهات نظر القدامى والمعاصرين هي الصلات بين الفرد والفرد ، والفرد والبيئة والفرد والجماعة . وكذلك الصلات بين الجماعة والجماعة او بعبارة اخرى بين الامة والامة مما قرر اصولها ووضع اسانيدها وكيفياتها هادقين الامم ومربيها وفلاسفتها وساستها ومشرعيها

واذا كانت هذه الصلات بين الافراد ، او بين الامم قد اصطبغت من قبل بصبغة البحث والتمعن والمناقشة والتدقيق فقد اصبحت اليوم علماً مستقلا له مقدماته ومتونه وحواشيه له اسباب ونتائج ، وهو بذلك قد اكتسب لوناً جديداً من البحث الذي يجدر بالجميع الالمام به ولو بصورة مجملة لما له من الاهمية التي صار اليها العالم اليوم في تكييف صلاته الاجتماعية عن طريق ما يسمونه « بالدبلوماسية » ..

ونحن الآن في بداية البحث وقد قدمنا له مالابد من ذكره كما سنقضي له بمالابد من تدوينه ... والجدير بنا وقد بلغنا هذه المرحلة ان نتساءل كما يتساءل غيرنا حين ترقص علامات الاستفهام امام موضوع كهذا ... او اقول والجدير هنا ان نتساءل ما عسى هي الدبلوماسية أهي علم كما الفنا ام هي فن ؟ .

لقد كثر البحث في الدبلوماسية على انها علم يدرس كبقية العلوم مستنبط من الوقائع والاحوال التي تنشأ احداثها في عمر الدولة ، الامر الذي ادى الى تكريس أوقات كثير من الدبلوماسيين لبحث هذه الوقائع وتقرير نتائجها مما فرض عليهم تخصيص فروع لتدريس هذا العلم في اكثر جامعات الدول الكبيرة فيتلقى طلاب هذا العلم دروساً في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والعلوم الاخرى ذات العلاقة بحياة الجماعة التي سيمثل الطالب دولته فيها ليكون ملماً بجميع نواحي حياتها الجماعية والفرعية .

وازاء هذا فلم يتطرق علماء السياسة لبحث الدبلوماسية على انها فن ، الامر الذي ترتب على جهلهم به اخطاء جسام شهد العالم وزرها فالدبلوماسية لم تكن « علماً محضاً » تدرس كبقية العلوم وتكسب طلابها صفة التمثيل الدبلوماسي بل هي فن مستنبط من ذكاء الشخص الاجتماعي ، ذلك الذكاء ، او تلك الميزة التي تجعل صاحبها مقبولا ومنسجما كل الانسجام في المجتمع فهذا الذكاء لايمكن ان يكون صفة تكتسب بالعلوم فحسب بل هو هبة تجعل صاحبها يتكيف حسب المحيط الذي هو فيه ، وعلى ذلك فالدبلوماسية فن وعلم مزدوجين .

فكونها علماً يجب أن تدرس كبقية العلوم ومن ثم

يازهرة الفن الجديد ووردة الكون البهيه
عوجي فقد هب النسيم على رياض العبقريه
انا ان علا رأسي المشيب فأن لي نفس صبيه
ولقد تعرفت الهوى وبقيت مجهول الهويه

* * *

فالفن معجزة العقول وآية العهد الجديد
اربى على الفلك المدار بكل شيطان مريد
او ليس فيه عن البخار روى لنا ابن الحديد
هذي معاجزنا فاين تخال معجزة الجدود

* * *

يجب أن يكون الرجل الدبلوماسي ملماً وله إطلاع واسع بحياة الدولة التي يمثل فيها دولته، فيجب عليه ان يتقن لغتها وتاريخها القديم والحديث وجغرافيتها السياسية والاقتصادية وتنظيماتها الادارية وقوانينها المحلية ... الخ .

اما الدبلوماسية من جهتها الفنية فتبحث في كون الرجل الدبلوماسي ذا ذكاء اجتماعي ، فالذكاء الذهني غير كاف وحده لأن يكون الرجل دبلوماسياً مالم يكن ثمة ذكاء اجتماعي لهو ان يكون واسع الحيلة ، حذقا بارعا سريع الخاطر لبقاً له قابلية على اختيار الظروف والمناسبات التي تصلح لابداء آرائه لتكون هذه المناسبات عوناً لتنفيذ مطاليب دولته ، ويجب أن يكون هادئا متزنا في الاحوال التي تتطلب ذلك وأن يجيب على قدر السؤال الذي يوجه اليه عند اجتماعه بالآخرين ، ويجب أن يكون حديثه منمقاً متزنا له أناته وتفكيره الخاص به وأن يستعمل الايجاب في كلامه في أكثر الأوقات لأن السلب لاوجود له في قاموس الدبلوماسية فلفظة (نعم) باستعمالها تحمل على غير معناها ويقصد بها « ربما » وهذه بدورها اذا استعملت فيقصد بها « لا » واللفظة الاخيرة لا وجود لها في لغة الدبلوماسية .

ويجب أن تكون له مقدرة فائقة على التكييف حسب الاوضاع التي هو فيها وان يخاطب كل شخص على قدر اهليته وكفايته العقلية وادراكه وان يكون ذا قدرة بالغة في تصنعه (البلاده) في الاوقات التي تتطلبها ليستطيع ان يدرك عقلية الجماعة ويخاطبها بعقليتها وان يستفيد من جهلهم اشياء قد تنزلق السنتهم بها دون وعي وإدراك، لان المرء قد يسرف في الكلام ويتطرق الى امور لا يرغب التطرق اليها فيا لوعلم بان مقابله ذكي فطن .

وكذلك يجب ان تكون له قدرة فائقة على حل المشاكل السياسية التي تعرض له وأن يخلق الجو الملائم لتكيفها حسبما تقتضيه المصلحة التي يتوخاها لبلاده ان كانت هناك مصلحة ، اما اذا كانت هذه المشاكل ليست ذات جدوى لبلاده فيمكن بكفايته ان يتجنب ضررها .

وأخيراً أقول : إن عظمة الدولة وقوتها وكرامتها واحترام الدول لها وتوسعها وتجنبها للاضرار المادية والمعنوية

ناتج عن حذاقة ممثليها بفن الدبلوماسية وعلمها .

فاليك على سبيل المثال لا الحصر ، انكلترا التي استطاعت بكفايتها ولباقتها وحسن مجراها الدبلوماسي ترغيبا او ترهيبا حسب الحروف والوقائع والزمن ان تبسط يدها على مطالع الشمس في خمس اليابسة والماء من هذا العالم الامر الذي يعود فضله الى مالعبه دبلوماسيها على مسرح السياسة الدولية منذ اكثر من قرن واحد حتى الآن . هذا المثل الذي له دلالته وحيويته أسوقه لاختم معه بحثي الذي أرجو أن الفت فيه نظر اولي الشأن للاخذ بهذه الناحية والاهتمام الجدي بتنشئتها تنشئة قوية وارسال البعثات من الحقوقيين الى المعاهد المختصة لتكوين اهلية واستعداد تامين في خبرة الشباب المؤهل لهذا الغرض من ابناء الجيل وعندئذ يتم لنا إشادة اول سد منيع في الحصافة الدبلوماسية ندرء بها عن هذا الوطن شرور الطامعين ونتقي بها ثمرة المستعمرين . ونقطع بها السبيل الى حيث الاعتزاز بالكرامة والاستقلال المكين .

بغداد

فاضل رشيد

للسيد خضر القزويني

قرب الكاس من فمي فالحميا ... من فم الخرد تبعث الميت حيا
كيف لا تشتهيه نفسي وانا ... شيخ لو مسه لعاد صبيا
ولو ان الضعيف يسمع يوماً ... باسمه صار حين ذاك قويا
لو يراها التي تسطع مثل ال ... شمس في راحتيك أمسى شقيا
وذووا الدير لو رأته لاهوت ... لاسمه سجداً ضحى وعشيا
فهامي به وقولي له اشربه ... مزيجا من ريق ثغري النقيا
واضرب العود بين رند وآس ... واقرئي من صحيفة الشعر شيا
ودعيني مابين كأس وعود ... ونشيد أرى الوجود جليا
واعي كيف أصبح الحب لغزا ... غامضاً والجمال سراً خفيا
أقتدرين كم حكيم خبير ... ضل في حسنك الصراط السويا
وفقيه صبا لك وأديب ... حار في وصفك وما كان عيا
قسما ما الجمال في الكون إلا ... سورة تخطف الشجاع الكميا
والهوى خطة فمن حاد عنها ... عد في شرعة الغرام غبيا
فجدير بالفيلسوف اذا منا ... يحبس الفكر عند ذاك مليا
ليري ما هو الهوى ولماذا ... رفعته الورى مكانا عليا